(١٤)

باب قول الله تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾

قال المصنف رحمه الله تعالى: (**باب قول الله تعالى**: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩١-١٩٢]).

ش: قوله ﴿أَيُشْرِكُونَ﴾ أي في العبادة.

قال المفسرون: في هذه الآية توبيخ وتعنيف للمشركين في عبادتهم مع الله تعالى ما لا يخلق شيئًا وهو مخلوق، والمخلوق لا يكون شريكًا للخالق في العبادة التي خلقهم لها، وبين أنهم لا يستطيعون لهم نصرًا ولا أنفسهم ينصرون، فكيف يشركون به من لا يستطيع نصر عابديه ولا نصر نفسه؟

وهذا برهان ظاهر على بطلان ما كانوا يعبدونه من دون الله، وهذا وصف كل مخلوق، حتى الملائكة والأنبياء والصالحين.

وأشرف الخلق محمد ﷺ قد كان يستنصر ربه على المشركين ويقول: «**اللهم أنت عضدي ونصيري، بك أحول وبك أصول، وبك أقاتل**»[1].

وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾ [الفرقان: ٣] وقوله: ﴿قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨] وقوله: ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ﴾ [الجن: ١٢-٢٣].

فكفى بهذه الآيات برهانًا على بطلان دعوة غير الله كائنًا من كان. فإن كان نبيًّا أو صالحًا فقد شرفه الله تعالى بإخلاص العبادة له، والرضاء به ربًّا ومعبودًا، فكيف يجوز أن يجعل العابد معبودًا مع توجيه الخطاب إليه بالنهي عن هذا الشرك؟

كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [القصص: ٨٨] وقال: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [يوسف: ٤٠]،

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب: الجهاد، باب: ما يدعي عند اللقاء، حديث (٢٦٣٢)، والترمذي، حديث (٣٥٨٤) من حديث أنس. وهو صحيح، وانظر صحيح الجامع (٤٧٥٧).

فقد أمر عباده من الأنبياء والصالحين وغيرهم بإخلاص العبادة له وحده، ونهاهم أن يعبدوا معه غيره، وهذا هو دينه الذي بعث به رسله، وأنزل به كتبه، ورضيه لعباده، وهو دين الإسلام، كما روى البخاري عن أبي هريرة في سؤال جبريل عليه السلام قال: يا رسول الله، ما الإسلام؟ قال: «**الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان**» (١).

قال المصنف رحمه الله تعالى: (**وقوله تعالى**: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ۝١٣ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ۝١٤﴾ [فاطر: ١٣-١٤]).

ش: يخبر تعالى عن حال المدعوين من دونه من الملائكة، والأنبياء، والأصنام، وغيرها بما يدل على عجزهم، وضعفهم، وأنهم قد انتفت عنهم الأسباب التي تكون في المدعو، وهي: الملك، وسماع الدعاء، والقدرة على استجابته، فمتى لم توجد هذه الشروط تامة بطلت دعوته فكيف إذا عُدمت بالكلية؟

فنفى عنهم الملك بقوله: ﴿مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣] قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة، وعطاء والحسن وقتادة: القطمير: اللفافة التي تكون على نواة التمر.

كما قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [النحل: ٧٣] وقال ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ۝٢٢ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ: ٢٢-٢٣].

ونفى عنهم سماع الدعاء بقوله ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ﴾ [فاطر: ١٤] لأنه ما بين ميت وغائب عنهم، مشتغل بما خلق له، مسخر بما أمر به كالملائكة.

ثم قال: ﴿وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ﴾ [فاطر: ١٤] لأن ذلك ليس لهم، فإن الله تعالى لم يأذن لأحد من عباده في دعاء أحد منهم، لا استقلالاً ولا واسطة، كما تقدم بعض أدلة ذلك.

وقوله: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ [فاطر: ١٤] فتبين بهذا أن دعوة غير الله شرك.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: الإيمان، باب: سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان...، حديث (٥٠)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب: بيان الإيمان والإسلام والإحسان، حديث (٩).

وقال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ [مريم: ٨١-٨٢] وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ﴾ [فاطر: ١٤] قال ابن كثير: يتبرءون منكم، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٥-٦].

قال: وقوله ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٤]) أي: ولا يخبرك بعواقب الأمور ومآلها وما تصير إليه مثل خبير بها. قال قتادة: يعني نفسه تبارك وتعالى؛ فإنه أخبر بالواقع لا محالة.

قلت: والمشركون لم يُسلِّموا للعليم الخبير ما أخبر به عن معبوداتهم، فقالوا: تملك وتسمع وتستجيب وتشفع لمن دعاها، ولم يلتفتوا إلى ما أخبر به الخبير من أن كل معبود يعادى عابده يوم القيامة ويتبرأ منه، كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ ۚ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ ۖ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿٢٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلُوا۟ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ ۚ وَرُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ [يونس: ٢٨-٣٠].

أخرج ابن جرير عن ابن جريح، قال: قال مجاهد: ﴿إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ﴾ [يونس: ٢٩] قال يقول ذلك كل شيء كان يعبد من دون الله.

فالكيّس [(١)] يستقبل هذه الآيات التي هي الحجة، والنور، والبرهان بالإيمان، والقبول، والعمل، فيجرد أعماله لله وحده دون كل ما سواه ممن لا يملك لنفسه نفعًا ولا دفعًا، فضلاً عن غيره.

قال المصنف رحمه الله تعالى: (وفي الصحيح عن أنس رضي الله عنه قال: شج النبي ﷺ يوم أحد. فقال: «كيف يفلح قوم شجوا نبيهم؟» فنزلت الآية ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨] [(٢)]).

ش: قوله: (في الصحيح) أي: (الصحيحين). علقه البخاري، عن حميد، وعن ثابت عن أنس، ووصله أحمد، والترمذي، والنسائي عن حميد عن أنس به. ووصله مسلم عن ثابت عن أنس.

---

(١) أي العاقل: النهاية (٤/ ٢١٧).

(٢) أخرجه البخاري معلقًا، كتاب المغازي، باب: ليس لك من الأمر شيء..، ووصله مسلم، كتاب: الجهاد والسير، باب: غزوة أحد، حديث (١٧٩١)

وقال ابن إسحاق في المغازي: حدثنا حُميد الطويل عن أنس قال: كسرت رباعية النبي ﷺ يوم أحد، وشُجَّ وجهه، فجعل الدم يسيل على وجهه، وجعل يمسح الدم وهو يقول: «**كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم؟**» فأنزل الله الآية.

قوله: (شُجَّ النبي ﷺ) قال أبو السعادات: الشجُّ في الرأس خاصة في الأصل، وهو أن يضربه بشيء فيجرحه فيه ويشقه، ثم استعمل في غيره من الأعضاء.

وذكر ابن هشام من حديث أبي سعيد الخدري أن عتبة بن أبي وقاص هو الذي كسر رباعية النبي ﷺ السفلى وجرح شفته السفلى، وأن عبد الله بن شهاب الزهري هو الذي شجه في وجهه، وأن عبد الله بن قميئة جرحه في وجنته، فدخلت حلقتان من حلق المِغْفَر في وجنته، وأن مالك بن سنان مص الدم من وجه رسول الله ﷺ وازدرده. فقال له: «**لن تمسك النار**» [1].

قال القرطبي: والرباعية بفتح الراء وتخفيف الياء: وهي كل سن بعد ثنية.

قال النووي رحمه الله: وللإنسان أربع رباعيات.

قال الحافظ: والمراد أنها كُسرت، فذهب منها فلقة ولم تقلع من أصلها.

قال النووي: وقوع الأسقام والابتلاء بالأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم لينالوا جزيل الأجر والثواب. ولتعرف الأمم ما أصابهم ويأتسوا بهم.

قال القاضي: وليعلم أنهم من البشر تصيبهم محن الدنيا، ويطرأ على أجسامهم ما يطرأ على أجسام البشر ليُتيقَّن أنهم مخلوقون مربوبون. ولا يفتتن بما ظهر على أيديهم من المعجزات ويلبس الشيطان من أمرهم ما لبَّسه على النصارى وغيرهم. انتهى.

قلت: يعني من الغلو والعبادة.

قوله: (يوم أحد) **هو شرقي المدينة**. قال ﷺ: «**أحد جبل يحبنا ونحبه**» [2].

وهو جبل معروف كانت عنده الواقعة المشهورة. فأضيفت إليه.

قوله: (**«كيف يفلح قوم شجوا نبيهم»**) زاد مسلم «**وكسروا رباعيته وأدموا وجهه**».

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٩/ ٤٧)، حديث (٩٠٩٨)، وفي إسناده ربيح بن عبد الرحمن مجهول متكلم فيه. وأخرجه سعيد بن منصور في السنن (٢/ ٢٦١)، حديث (٢٥٧٣) من طريق عمرو بن السائب أنه بلغه أن مالكًا والد أبي سعيد الخدري... فذكره وهو مرسل وانظر تلخيص الحبير (١/ ٣١).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: الزكاة، باب: خرص الثمر، حديث (١٤٨٢)، ومسلم، كتاب الحج، باب: أحد جبل يحبنا ونحبه، حديث (١٣٩٢).

قوله: (فأنزل الله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران :١٢٨]) قال ابن عطية: كأن النبي ﷺ لحقه في تلك الحال يأس من فلاح كفار قريش، فقيل له بسبب ذلك ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران :١٢٨] أي عواقب الأمور بيد الله، فامض أنت لشأنك، ودم على الدعاء لربك.

وقال ابن إسحاق: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران :١٢٨] في عبادي إلا ما أمرتك به فيهم.

قال المصنف رحمه الله تعالى: (وفيه عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول - إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر-: «اللهم العن فلانًا وفلانًا» بعد ما يقول: «سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد» فأنزل الله ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران :١٢٨][(١)].

وفي رواية: يدعو على صفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو، والحارث بن هشام فنزلت ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران :١٢٨][(٢)].

ش: قوله: (وفي)ه أي في صحيح البخاري. ورواه النسائي.

قوله: (عن ابن عمر) هو عبد الله بن عمر بن الخطاب، صحابي جليل، شهد له رسول الله ﷺ بالصلاح، مات سنة ثلاث وسبعين في آخرها أو في أول التي تليها.

قوله: (أنه سمع رسول الله ﷺ) هذا القنوت على هؤلاء بعد ما شُجَّ وكُسرت رباعيته يوم أحد.

قوله: (اللهم العن فلانًا وفلانًا) قال أبو السعادات: أصل اللعن: الطرد والإبعاد من الله. ومن الخلق: السب والدعاء، وتقدم كلام شيخ الإسلام رحمه الله.

قوله: (فلانًا وفلانًا) يعني صفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو، والحارث بن هشام، كما بينه في الرواية الآتية.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: المغازي، باب: ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون، حديث (٤٠٧٠).

(٢) أخرجه البخاري الكتاب، والباب السابقين، حديث (٤٠٧٠)، من طريق سالم بن عبد الله بن عمر مرسلًا، ووصله الترمذي، حديث (٣٠٠٤)، وأحمد في مسنده (٢/ ٩٣)، حديث (٥٦٧٤)، والطبري في تفسيره (٤/ ٨٨) من طريق عمر بن حمزة عن سالم عن ابن عمر مرفوعًا. وهو صحيح، وانظر صحيح الترمذي.

وفيه: جواز الدعاء على المشركين بأعيانهم في الصلاة، وأن ذلك لا يضر في الصلاة.

قوله: (بعد ما يقول: سمع الله لمن حمده) قال أبو السعادات: أي أجاب حمده وتقبله. وقال السهيلي [١]: مفعول سمع محذوف، لأن السمع متعلق بالأقوال والأصوات دون غيرها فاللام تؤذن بمعنى زائد وهو الاستجابة للسمع، فاجتمع في الكلمة الإيجاز والدلالة على الزائد، وهو الاستجابة لمن حمده.

وقال ابن القيم رحمه الله ما معناه: عدى (سمع الله لمن حمده) باللام المتضمنة معنى استجاب له. ولا حذف هناك، وإنما هو مضمن.

قوله: (ربنا ولك الحمد)، في بعض روايات البخاري بإسقاط الواو. قال ابن دقيق العيد: كأن إثباتها دال على معنى زائد، لأنه يكون التقدير: ربنا استجب ولك الحمد. فيشتمل على معنى الدعاء ومعنى الخبر.

قال شيخ الإسلام: والحمد ضد الذم، والحمد يكون على محاسن المحمود مع المحبة له. كما أن الذم يكون على مساوئه مع البغض له.

وكذا قال ابن القيم: وفرق بينه وبين المدح بأن الإخبار عن محاسن الغير؛ إما أن يكون إخبارًا مجردًا عن حب وإرادة، أو يكون مقرونًا بحبه وإرادته.

فإن كان الأول فهو المدح، وإن كان الثاني فهو الحمد. فالحمد إخبار عن محاسن المحمود مع حبه وإجلاله وتعظيمه. ولهذا كان خبرًا يتضمن الإنشاء بخلاف المدح، فإنه خبر مجرد.

فالقائل إذا قال: الحمد لله، أو قال: ربنا ولك الحمد؛ تضمن كلامه الخبر عن كل ما يحمد عليه تعالى باسم محيط متضمن لكل فرد من أفراد الجملة المحققة والمقدَّرة، وذلك يستلزم إثبات كل كمال يحمد عليه الرب تعالى، ولهذا لا تصلح هذه اللفظة على هذا الوجه، ولا تنبغي إلا لمن هذا شأنه، وهو الحميد المجيد.

وفيه: التصريح بأن الإمام يجمع بين التسميع والتحميد، وهو قول الشافعي وأحمد وخالف في ذلك مالك وأبو حنيفة، وقالا: يقتصر على سمع الله لمن حمده.

قوله: (وفي رواية يدعو على صفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو، والحارث بن

(١) هو: عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي الأندلسي المالكي، الضرير، مؤرخ، محدث، حافظ، نحوي، لغوي، مقرئ، أديب. له مصنفات منها: التعريف والإعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام، نتائج النظر ومسألة رؤية الله عز وجل في المنام ورؤية النبي ﷺ، وشرح الجمل للزجاجي في النحو لم يتم. توفى سنة (٥٨١هـ).

هشام). وذلك لأنهم رءوس المشركين يوم أحد، هم وأبو سفيان بن حرب، فما استجيب له ﷺ فيهم بل أنزل الله ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٢٨] فتاب عليهم فأسلموا وحسُن إسلامهم.

وفي هذا كله معنى شهادة أن لا إله إلا الله الذي له الأمر كله، يهدي من يشاء بفضله ورحمته، ويضل من يشاء بعدله وحكمته فهو المستحق أن يعبد وحده.

وفي هذا من الحجج والبراهين: ما يبين بطلان ما يعتقده عُبَّاد القبور في الأولياء والصالحين. بل في الطواغيت من أنهم ينفعون من دعاهم، ويمنعون من لاذ بحماهم. فسبحان من حال بينهم وبين فهم الكتاب. وذلك عدله سبحانه، وهو الذي يحول بين المرء وقلبه، وبه الحول والقوة.

قال المصنف رحمه الله تعالى: (وفيه: **عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ حين أنزل الله عليه ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾** [الشعراء: ٢١٤] **قال: «يا معشر قريش - أو كلمة نحوها - اشتروا أنفسكم لا أغنى عنكم من الله شيئًا. يا عباس بن عبد المطلب لا أغنى عنك من الله شيئًا، يا صفية عمة رسول الله، لا أغنى عنك من الله شيئًا. يا فاطمة بنت محمد، سليني من مالي ما شئت، لا أغنى عنك من الله شيئًا»** [(١)]).

ش: قوله: (وفيه) أي: وفي (صحيح البخاري).

قوله: (عن أبي هريرة) اختُلف في اسمه، وصحح النووي أن اسمه عبد الرحمن بن صخر.

كما رواه الحاكم [(٢)] في المستدرك عن أبي هريرة قال: كان اسمي في الجاهلية عبد شمس بن صخر فسميت في الإسلام عبد الرحمن.

وروى الدولابي بإسناده عن أبي هريرة أن النبي ﷺ سماه عبد الله [(٣)].

وهو دوسي، من فضلاء الصحابة وحُفاظهم، حفظ عن النبي ﷺ أكثر مما حفظه غيره، مات سنة سبع أو ثمان أو تسع وخمسين، وهو ابن ثمان وسبعين سنة.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: الوصايا، باب: هل يدخل النساء والولد في الأقارب، حديث (٢٧٥٣)، ومسلم، كتاب: الإيمان، باب: في قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، حديث (٢٠٦).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٥٧٩)، حديث (١٦٤١).

(٣) الدولابي في الكنى والأسماء (١/ ٧٧).

قوله: (قام رسول الله ﷺ) في الصحيح من رواية ابن عباس: صعد رسول الله ﷺ على الصفا [١].

قوله: (حين أنزل عليه ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾) عشيرة الرجل: هم بنو أبيه الأدنون أو قبيلته. لأنهم أحق الناس ببرك وإحسانك الديني والدنيوي، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦] وقد أمره الله تعالى أيضًا بالنذارة العامة، كما قال ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ﴾ [يس: ٦] ﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ﴾ [إبراهيم: ٤٤].

قوله: (يا معشر قريش) المعشر الجماعة.

قوله: (أو كلمة نحوها) هو بنصب كلمة عطفًا على ما قبله.

قوله: (اشتروا أنفسكم) أي بتوحيد الله وإخلاص العبادة له وحده لا شريك له، وطاعته فيما أمر به، والانتهاء عما نهى عنه. فإن ذلك هو الذي ينجي من عذاب الله؛ لا الاعتماد على الأنساب والأحساب، فإن ذلك غير نافع عند رب الأرباب.

قوله: (ما أغني عنكم من الله من شيء) فيه حجة على من تعلق على الأنبياء والصالحين، ورغب إليهم ليشفعوا له وينفعوه، أو يدفعوا عنه.

فإن ذلك هو الشرك الذي حرمه الله تعالى، وأقام نبيه ﷺ بالإنذار عنه، كما أخبر تعالى عن المشركين في قوله ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣] ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨].

فأبطل الله ذلك ونزَّه نفسه عن هذا الشرك، وسيأتي تقرير هذا المقام إن شاء الله تعالى.

وفي صحيح البخاري: «**يا بني عبد مناف لا أغنى عنكم من الله شيئًا**».

قوله: (يا عباس بن عبد المطلب) بنصب «بن» ويجوز في عباس الرفع والنصب. وكذا في قوله «**يا صفية عمة رسول الله**»، و«**يا فاطمة بنت محمد**».

قوله: (سليني من مالي ما شئت) بيَّن رسول الله ﷺ أنه لا ينجي من عذاب الله إلا

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: تفسير القرآن، باب: وأنذر عشيرتك الأقربين...، حديث (٤٧٧٠)، ومسلم، كتاب: الإيمان، باب: في قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، حديث (٢٠٨).

الإيمان، والعمل الصالح.

وفيه: أنه لا يجوز أن يسأل العبد إلا ما يقدر عليه من أمور الدنيا. وأما الرحمة والمغفرة والجنة والنجاة من النار ونحو ذلك من كل ما لا يقدر عليه إلا الله تعالى، فلا يجوز أن يُطلب إلا منه تعالى.

فإن ما عند الله لا ينال إلا بتجريد التوحيد، والإخلاص له بما شرعه ورضيه لعباده أن يتقربوا إليه به.

فإذا كان لا ينفع بنته، ولا عمه، ولا عمته، ولا قرابته إلا ذلك، فغيرهم أولى وأحرى. وفي قصة عمه أبي طالب معتبر.

فانظر إلى الواقع الآن من كثير من الناس الالتجاء إلى الأموات، والتوجه إليهم بالرغبات والرهبات، وهم عاجزون لا يملكون لأنفسهم ضرًا ولا نفعًا، فضلاً عن غيرهم ـ يتبين لك أنهم ليسوا على شيء ﴿إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ٣٠].

أظهر لهم الشيطان الشرك في قالب محبة الصالحين، وكل صالح يبرأ إلى الله من هذا الشرك في الدنيا ويوم يقوم الأشهاد.

ولا ريب أن محبة الصالحين إنما تحصل بموافقتهم في الدين، ومتابعتهم في طاعة رب العالمين، لا باتخاذهم أندادًا من دون الله، يحبونهم كحب الله إشراكًا بالله، وعبادة لغير الله، وعداوة لله ورسوله والصالحين من عباده، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: ١١٦-١١٧].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في هذه الآية بعد كلام سبق: ثم نفى أن يكون قال لهم غير ما أمر به وهو محض التوحيد فقال: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ﴾ [المائدة: ١١٧] ثم أخبر أن شهادته عليهم مدة مقامه فيهم، وأنه بعد الوفاة لا اطلاع له عليهم، وأن الله عز وجل المنفرد بعد الوفاة بالاطلاع عليهم فقال: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: ١١٧] وصف الله سبحانه بأن شهادته فوق كل شهادة وأعم انتهى ملخصًا.

قلت: ففي هذا بيان أن المشركين خالفوا ما أمر الله به رسله من توحيده الذي هو دينهم الذي اتفقوا عليه، ودعوا الناس إليه، وفارقوهم فيه إلا من آمن.

فكيف يقال لمن دان بدينهم، وأطاعهم فيما أمروا به من إخلاص العبادة لله وحده: إنه قد تنقصهم بهذا التوحيد الذي أطاع به ربه، واتبع فيه رسله عليهم السلام، ونزه به ربه عن الشرك الذي هو هضم للربوبية. وتنقص للإلهية وسوء ظن برب العالمين؟.

والمشركون هم أعداء الرسل وخصماؤهم في الدنيا والآخرة، وقد شرعوا لأتباعهم أن يتبرءوا من كل مشرك ويكفروا به، ويبغضوه ويعادوه في ربهم ومعبودهم ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٩].